بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث :

لاشك أن طه حسين كان أحد أهم الشخصيات المعاصرة التى أحدثت آثارا عميقة وبعيدة فى الحياة الفكرية والادبية فى مصر والعالم العربى قاطبة ، خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار ظروف وطبيعة المرحلة التاريخية فى النصف الاول من هذا القرن ، وهى المرحلة التى شهدت نشاطه الكبير وأخذنا فى الاعتبار ايضا شخصيته ذاتها وما جبلت عليه من تمرد ورفض وميل للصدام والمناجزة ، لذلك فنحن نظلم طه حسين كثيرا لو تصورنا أنه بالامكان ان نحيط فى هذه المقدمة القصيرة بهذه الاثار وبأبعادها . ولكن على الرغم من المجالات العديدة والمختلفة التى كان له دور كبير فيها ، يبقى دوره فى مجال الدراسات الادبية والنقدية أعظم أدواره تأثيرا وأخلدها ذكرا وأحقها بالاشادة والثناء ، خاصة جهوده العديدة فى دراسة الادب العربى القديم وتأريخه ، فليس بغريب أن يلقب بعميد الادب العربى ولا يلقب بأى لقب آخر .

وليس غرضنا هنا استعراض هذه الجهود ولكن لعل أهم خدمة أسداها للادب العربى القديم ، خاصة ـ الشعر الجاهلى ـ انه أعاد اليه لمعانه وبريقه وجدته ، أو فلنقل إنه تمكن من احياء القديم وجعله مرة أخرى تجربة حية فى نفس الناقد والقارئ على حد سواء بعد أن حطّم الحواجز التى كانت تقف حائلا بينه وبين نفس وعقل القارئ العربى فى هذا العصر .

وهكذا راح طه حسين يدرس الادب العربى ويؤرخ له فى عصوره المختلفة اما عن طريق دراسته لعدد من الظواهر الادبية التى تشكل علامات بارزة على خريطة الادب العربى كاشفا من خلال ذلك عن أهم المعطيات الفكرية والادبية والاجتماعية التى كانت تسود المجتمع العربى فى فتراته المختلفة والتى كان لها دور مباشر أو غير مباشر فى خلق هذه الظواهر وتشكيلها ، واما عن طريق دراسته وتأريخه لاعلامه البارزين .

وكان المتنبى أحد هؤلاء الاعلام الذين استأثروا بقسط وافر من اهتمام طه حسين وجاء كتابه " مع المتنبى " تجسيدا لهذا الاهتمام وتمثيلا له ، والكتاب بعد ذلك هو موضوع هذا البحث وشاغله ، فقد عرض فيه طه حسين لحياة المتنبى ومختلف جوانب شخصيته بالتأريخ والتحليل والدراسة . وألقى كثيرا من الاضواء على شعره ، أو بمعنى أوضح على لغة هذا الشعر واسلوبه ومقدماته والاغراض التى أدير حولها

والمراحل الفنية التي تقلب فيها ، مثيرا من خلال ذلك كثيرا من القضايا الفنية التي تتصل به بشكل أو بآخر ، ولكن الملاحظ ان اهتمام طه حسين بشعر المتنبي على أهميته وايجابيته لم يتساوى مع اهتمامه بتاريخ حياته وشخصيته ، وهذا أمر لم يخفه طه حسين أو ينكره بل عمد الى تسجيله والى تنبيه القارئ اليه في نهاية كتابه .

ولعل هذا التفاوت بين الاهتمامين راجع الى شخصية المتنبي ذاتها من جهة والى رأى طه حسين في هذه الشخصية من جهة أخرى . فلست أعرف شاعرا عربيا شغلت حياته الناس واحتدم حوله الجدل واختلفت الاراء في شخصيته حتى تضاربت وتناقضت كالمتنبي ، فليس بغريب ولا بعجيب أن تستثير شخصيته وحياته الحافلة النابضة في بعض جوانبها طه حسين ، وشأن طه حسين هنا شأن الكثيرين الذين طغى اهتمامهم بحياة المتنبي على اهتمامهم بفنه . والسبب الاخر الذى اعتقد أنه كان وراء الاسهاب في تأريخ حياة المتنبي وفي شرح جوانب شخصيته هو رأى طه حسين ذاته في شخصية المتنبي بشكل عام وفي بعض الاحداث الهامة في حياته بشكل خاص .

وقد قمنا في هذا البحث بشرح الدوافع النفسية التي وجهت رأى طه حسين وتحكمت فيه وقد خرج على الناس بهذا الرأى في وقت كان فيه الادباء يحتفلون بمرور ألف سنة على وفاة المتنبي وفي وقت كان فيه الرأى العام الادبي يكاد يكون متفقا ومجمعا على عظمة المتنبي وروعة فنه فبدا وكأنه خروج على هذا الاجماع وتحديا له .

وطبيعي ان يسعى طه حسين الى توفير كل ما من شأنه أن يدعم رأيه ويقويه وقد اضطر في سبيل تحقيق هذا الهدف الى التضحية مرات كثيرة بالموضوعية وبمنهجية البحث الامر الذى انعكس بشكل واضح على دراسته فجاءت دراسة لشخصية المتنبي وتاريخ حياته اكثر منها دراسة لشعره وفنه وبدت وكأنها دفاع عن رأيه وتبرير له أمام القارئ اكثر منها دراسة موضوعية يتحرى صاحبها الحقيقة بصرف النظر عن النتيجة التي ستفسر عنها .

وموضوع البحث بعد هو " نقد طه حسين للمتنبي " وكنا ذكرنا قبل قليل أن طه حسين قد أدار كتابه عن المتنبي حول محورين أساسيين هما شعره وشخصيته ولذلك فنحن معنيون في هذا البحث بشرح نقد طه حسين لشعر المتنبي ودراسته لشخصيته الادبية وببيان المنهج الذى اتبعه في كل من الدراستين ولكن على الرغم من أن هدف البحث أساسا هو بيان نقد طه حسين للمتنبي سواء ما اتصل من هذا النقد بشعره أو شخصيته

فان هذا الهدف لايمكن أن يتحقق دون الوقوف أولا على منهج طه حسين العام في كل من نقد الشعر ودراسة الشخصية الادبية فنقده لشعر المتنبى وشخصيته ماهما الا جزء من نقده للشعر ودراسته للشخصية الادبية في صورتهما العامة .

لاجل ذلك رأينا أن نقسم البحث الى ثلاثة أبواب كل منها مستقل عن الآخر ولكنه في ذات الوقت وثيق الصله به غير منفصل عنه ، وقد قمنا بتقسيم هذه الابواب الى فصول بعدد الموضوعات التي ينطوى عليها كل باب منها ، وسوف نعرض هنا عما درج الباحثون على فعله في مقدماتهم من اعادة لذكر الموضوعات التي تضمنتها ابحاثهم ، وتلخيص موجز لها ، اذ يستطيع القارئ أن يجد ثبتا بهذه الموضوعات في الفهرست المخصص لها والملحق بآخر هذا البحث ، كما أن أى تلخيص لها لايغنى عن الاطلاع عليها في مواطنها الاصيلة ولا يعطى تصورا صحيحا عنها على الاقل بالنسبة لهذا البحث . فضلا عما في الاعادة والتلخيص من تطويل لا أعتقد أن هناك حاجة ملحة اليه . ويكفى أن نشير هنا الى عناوين أبواب البحث وفصوله فقد قسمنا البحث الى ثلاثة أبواب رئيسية تقع في عشرة فصول . اما الباب الاول فيتكون من فصلين ، تناولنا في الفصل الاول منهما منهج طه حسين في النقد بينما تناولنا في الفصل الثانى منهجه في دراسة الشخصية الادبية وقد كرسنا الباب الثانى لدراسة طه حسين لشخصية المتنبى ، وجعلناه في خمسة فصول عرضنا فيها لدراسة طه حسين لنشأة المتنبى ولمقومات شخصيته النفسية والخلقية ولعوامل التمرد والثورة فيها ثم للمنهج الذى اتبعه في دراستها وتصويرها . أما الباب الثالث والاخير فقد عنى بدراسة طه حسين لشعر المتنبى ويقع في ثلاثة فصول ، عرضنا في الفصل الاول منها لدراسة طه حسين لاسلوب المتنبى وبالذات دراسته لمظاهر التكلف والتعقيد في شعره ولمقدمات قصائده ومطالعها ومواطن الانتقال فيها ، وعرضنا في الفصل الثانى لدراسة طه حسين للاطوار الفنية التي تقلب فيها شعر المتنبى وبالتحديد الطور الاول والثانى أى من تاريخ بدء قوله الشعر الى تاريخ اتصاله بسيف الدولة الحمدانى متناولين بالدراسة بعض القضايا الفنية المتصلة بشعر المتنبى والتى أثارها طه حسين اثناء تتبعه للاطوار الفنية لهذا الشعر . أما الفصل الثالث والاخير فقد كان شرحا لمنهج طه حسين في دراسة شعر المتنبى .

وطبيعى أن لايمر هذا البحث دون صعوبات لعل أولها قلة الدراسات الموجودة بين ايدينا عن طه حسين وبالتحديد عن فكره الادبى والنقدى اذ لاتعدو الدراسات لهذا الجانب أن تكون مقالات تتصف بالايجاز والسرعة وتفتقر الى التصور الشامل والنظرة المستقصية

فمعظمها قد أنشأ في مناسبات خاصة لا تتيح تعمقا ولا استقصاء ، ولهذا فقد اعتمدنا في شرح منهج طه حسين النقدي ومنهجه في دراسة الشخصية الادبية على أعماله الادبية والنقدية أولا وعلى جهودنا الذاتية المتواضعة ثانيا .

وصعوبة ثانية اصطدمنا بها أثناء تحضيرنا لمادة البحث الاساسية المتصلة بنقد طه حسين لشعر المتنبي ودراسته لشخصيته وهي صعوبة نبعت من طبيعة الدراسة التي وضعها طه حسين عن المتنبي ذاتها ذلك أن قد جعل هذه الدراسة في خمسة فصول أي عدد المراحل الزمنية التي مرت بها حياة المتنبي ، وقصر كل فصل منها على مرحلة زمنية واحدة ، تناول فيها كل مايتصل بحياة المتنبي وشخصيته وشعره ، فلم نجد بدا ازاء عمل طه حسين هذا من اعادة جمع المادة الوفيرة والمتنوعة التي نثرها طه حسين في فصوله الخمسة واعادة ترتيبها وتصنيفها فنضم الموضوعات المتصلة والمتشابهة بعضها الى بعض ونضعها في فصول حاولنا قدر الامكان أن تكون عناوينها معبرة عن طبيعة الموضوعات المنطوية تحتها دالة عليها ومتلائمة معها . فعلى سبيل المثال عرض طه حسين أثناء دراسته للاطوار الفنية لشعر المتنبي لقضية تقليد المتنبي لأبي تمام وهو مايزال يشير الى هذا التقليد كلما اتاحت له دراسته ذلك حتى اذا ما وصل المتنبي قمة نضجه الفني عند سيف الدولة دفع عنه تهمة التقليد ليس فقط تقليده لابي تمام ولكن تقليده لاي شاعر آخر . لذلك رأينا أن نلحق هذا الموضوع بالفصل الثاني الخاص بدراسة طه حسين لتطور شعر المتنبي ، ذلك أن هذا التطور قد انتهى بالمتنبي كما رأى طه حسين الى خروجه نهائيا من دائرة التقليد .

وصعوبة أخرى ثالثة واجهتنا وهي كسابقتها تعود أساسا الى طبيعة دراسة طه حسين للمتنبي ، فقد أراد أن تكون هذه الدراسة شاملة تعنى بتاريخ حياته وعصره ومجتمعه ومختلف جوانب شخصيته الى جانب عنايتها بشعره والمراحل التي مر بها هذا الشعر والقضايا الكثيرة التي تفرعت عنه بصرف النظر عن التفاوت الملحوظ في تناوله لكل مسألة من هذه المسائل فنية كانت أم موضوعية .

وعمل هذه طبيعته لايمكن أن تحتمله دراسة واحدة أو تتسع له مهما بلغ حجمها ومهما بلغت براعة صاحبها ولابد أن تكون نتيجته على حساب الدراسة ذاتها فيغلب عليها السرعة والايجاز والاتجاه الى التعميم في ذات الوقت الذي تفتقد فيه التحليل العميق والنظرة المتأنية المستقصية فضلا عن انها تكون عرضة لان تفلت من بين يديها

قضايا هامة وضرورية سواء كانت هذه القضايا فنية تتصل بالاثار الفنية للشاعر موضوع البحث او كانت تتصل بالجوانب الموضوعية المختلفة لشخصيته ، الامر الذى لمسناه فى دراسة طه حسين للمتنبى ، وموطن الصعوبة هنا هو فى ترددنا بين البقاء داخل الحدود التى رسمها طه حسين للقضايا الفنية والموضوعية المتصلة بشعر المتنبى وشخصيته وهى حدود ضيقة محدودة وبين رغبتنا فى الانطلاق خارج هذه الحدود بحيث نستطيع أن نوفى هذه القضايا حقها من البحث والدرس . ولما كانت هذه الرغبة مستحيلة التحقيق وحتى لانخرج عن هدف البحث الاساسى وهو نقد طه حسين للمتنبى عمدنا الى حل وسط وهو أن لاتلتزم بالحدود التى رسمها طه حسين فى ذات الوقت الذى لانبعد كثيرا عنها بل نظل قريبين منها وعلى ذلك لم نتوسع فى درس وشرح القضايا التى أثارها طه حسين الا بالقدر الذى يبرزها ويوضحها خاصة وأن منها مالايزيد تناوله له على مجرد الاشارة السريعة اليه .

ولعل التزامنا بالبقاء قريبين من الحدود التى رسمها طه حسين للقضايا الفنية والموضوعية التى أثارها فى دراسته للمتنبى يفسر اعتمادنا الكبير على هذه الدراسة ورجوعنا الكثير اليها . ولما كانت الاحكام التى كان يصدرها طه حسين ويقوم بها شعر المتنبى فى هذا الطور أو ذاك موجزة مجملة كان علينا أن نعود الى شعره فى مختلف اطواره لنتأكد من صدق هذه الاحكام ولنكشف عما تحمله من موضوعية أو تجاوز . لهذا قمنا بدراسة معظم شعر المتنبى على مافى ذلك من صعوبة ومشقة ويظهر أثر هذه الدراسة فى مواطن مختلفة من هذا البحث وبالتحديد فى تحليلنا لمقطوعات كاملة منه أو فى تحليلنا لجملة صالحة من الابيات المنفصلة التى كنا نستشهد بها فى أماكن مختلفة .

وأحب أن أختم هذه المقدمة بالاشارة الى أمرين اثنين :

الامر الاول : أننا لم نكتف فى هذا البحث بدراسة منهج طه حسين فى نقد شعر وشخصية المتنبى بل عمدنا فى مرات كثيرة الى نقده بشعر الشعراء الاخرين والى دراسته لشخصياتهم كأبى العلاء وأبى نواس وبشار ابن برد وغيرهم . واذا كنا قد أكثرنا من الاستشهاد بدراسته لشخصية وشعر أبى العلاء فلأن هذا الاخير قد استحوذ على جزء كبير من اهتمام طه حسين يفوق اهتمامه بأى شاعر آخر ثم لان لطه حسين رأى فى شخصيته يكاد يخالف تماما رأيه فى شخصية المتنبى

وقد أوضحنا فى بحثنا أثر حبه العميق لشخصية أبى العلاء واعجابه الكبير بها فى كراهيته لشخصية المتنبى ونفوره منها .

الامر الثانى : اننا لم نسع فى هذا البحث الى المواجهة المباشرة مع طه حسين ولا الى خوض جدل مصطنع معه قد حرصنا قدر الامكان أن نلتزم جانب الحيدة بينه وبين المتنبى وكلاهما شخصيتان قويتان جبارتان . أما دفاعنا عن المتنبى وما بدا أنه انحياز اليه ومواجهة مباشرة وجدل مع طه حسين كما يوضح الباب الثانى وهو الباب المتصل بدراسة طه حسين لشخصية المتنبى فاننا نقول : ان طريقة طه حسين فى تناوله لشخصية المتنبى وفى عرضه لجوانبها المختلفة كانت هى السبب المباشر القوى فى الاتجاه بالبحث مثل هذا الاتجاه فضلا عن تجاهل طه حسين الكثير من الحقائق العامة والخاصة التى تتصل بحياة وشخصية المتنبى مخالفا بذلك شروط البحث وموضوعيته كان يبدو واضحا أنه يسعى الى تحطيم شخصيته وتشويهها عامدا فى معظم الاحيان الى نعتها بأقبح الصفات فبدا وكأنه يريد أن يحرض القارئ عليه ويدعوه الى كراهيته .

هذه بعض الملاحظات التى رأيت أن أسجلها على هامش البحث الذى لا أدعى أنه خلو من مواطن الزلل فحسبى أنى حاولت وما ضننت فى محاولتى بجهد أو بوقت فما فى البحث من اجادة وبفضل الله تعالى وبفضل توجيهات استاذنا الكريم الاستاذ الدكتور محمد زكى العشماوى وأما مافيه من زلل فمرجعه الىّ .

والله ولى التوفيق .

شحادة مطر موسى

الباب الاول

الفصل الاول

منهج طه حسين فى النقد